كلهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر أيامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وشجعانها الأجواد . لتهزّ نفوسها الى الكرم . وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمّا تمّ لهم وزنهُ سمّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا به اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردّد في القول بانّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان انّما كانوا من العرب المتنصّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُخيل القرّاء لاثبات نصرانيّتهم الى قسمنا الاوّل في تاريخ النصرانيّة في عهد الجاهليّة

وعلى رأينا انّ شعراء الجاهليّة الاوّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيّة واحتكّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ماركها العرب الغسانية والمناذرة وبني الحارث وكان تمدّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدّبوا بآدابهم وجاروا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراء في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواء كانت تلك الحروب اهليّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس . فانّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزّ قريحتهم وهيّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظّ وفيّ كما سترى . (لهُ صلة)

الانتحار

بنسبة مقالة حديثة في فتى الارز

للاب لويس شيخو اليسوعي

الانتحار ! وما ادراك ما الانتحار ! خطبٌ مريع بل شرٌّ شنيع واثمٌ فظيع كاد

شرقنا العزيز يجهلهُ الى القرن السابق فسرى الينا بدخول التمدُّن العصري او قل بالاحرى بنشوّ المتجيَّة الحديثة . فكان لاوَّل ظهوره في اوطاننا صدى اشمئزاز وتأفُّف حسبناهُ الضربة القاضية عليه

ولكن لسوْ الحظ ما كان ذلك الشرّ الَّا لاطئاً كنار تحت الرماد والى الآن يذكر العموم بعض الحوادث المؤلمة وان قليلةً التي جرت في ظهرانينا

على انَّنا ما كنَّا لنسمع اذا بلغنا خبر بعض المنتحرين انَّ احد الكتبة يتجاسر ان يثني عليهِ لفعلهِ هذا السيّئ ويصوّر الانتحار في جريدة عموميَّة كأثرة حميدة او كفعل شهامة . وها نحن الآن قد رأينا صحيفة أتت بمثل هذه القباحة

*

روت الجرائد انَّ الدكتور جان غرينبرغ الروسوي اصابتهُ رصاصة وهو يجرّب سلاحاً فجُرح جرحاً بليغاً ما لبث ان أودى بحياتهِ بعد بضعة أيام . هذا ما شاع واثبتوهُ بكون الجريح استدعى جرَّاحاً شهيراً لمعالجتهِ . على انَّ جريدة حديثة العهد تُدعى بفتى الارز خالفت تلك الاشاعة وادَّعت بان الدكتور انتحر وقتل نفسهُ عمداً

وما كنَّا لنتداخل في الامر لنفيهِ او لاثباتهِ وكان الاحرى بجريدة فتى الارز ان تقتصر على الخبر كبقيَّة الجرائد ولكن لم تكتفِ بمخالفة الصحف الوطنيَّة ومدح القتيل حتَّى تعرَّضت لقضيَّةٍ تُعَدّ في عالم الدين والدنيا من اعظم القضايا شأناً . ففي صدر عددها السادس في ١٧ ايلول الاخير بعد روايتها الخبر اخذت تُطنب في فعل الانتحار الاثيم وتنعت المنتحر المزعوم «بالشهيد الحي بعواطفهِ العظيم باخلاصهِ الكبير بعملهِ الابيّ بنفسهِ» الى ان فاهت بهذا المبدأ القبيح : «كذب المتفلسفون بقولهم انَّ الانتحار جبن واثم وجناية على الهيئة الاجتماعيَّة »

فأخذنا الاندهاش لدى قراءة هذه الاحرف وحسبنا انَّنا خُدعنا ببصرنا وعدنا الى تلك الاسطر لنتثبت صحَّتها فاذا هي كما قرأناها بل اضاف اليها الكاتب ما يؤيّدها ويزيد في شناعتها وهو على ما يُقال فتى كاثوليكي مارونيّ ! !

ومن ثمّ ينبغي علينا ذَوْدًا عن حياض الدين وصوناً لحرمة الآداب ان نفند هذا القول فلا يعود الى مثلهِ كاتب وطنيّ فنقول : ان الانتحار جناية كبيرة يتَّفق في تأثيمها معاً العقل والدين والهيئة الاجتماعيَّة وخير الانسان

ولا بُدَّ قبل اثباتنا لقضيتنا من تقديم بعض المقدمات ليتَّضح فكرنا للقرَّاء فنقول :

(اوَّلاً) نريد بالانتحار قَتْل الانسان نفسهُ عمدًا ليتجو بموته من مصيبةٍ لا يحسن الصبر عليها . فبقولنا « عمدًا » نستثني المتحرين بباعث الجنون وشرود العقل

(ثانياً) لا يحلّ للانسان ان يأتي عملاً ينوي بهِ تلف حياتهِ ولو عَرَضاً

(ثالثاً) لا يدخل في باب الانتحار الاقدام على الموت اما لخير عمومي كما في الحرب واما لخدمة القريب كخدمة المطعونين واما تأييدًا الدين كوقوف الشهداء بازاء المضطهدين اثباتاً لايمانهم

١ الانتحار بازاء العقل

معلوم انَّ الله كتب في الانسان شريعةً ندعوها بالشريعة الطبيعيَّة يقف عليها العقل السليم لاوَّل وهلة . واوَّل ما يثبتهُ العقل الصائب انَّ الانسان مخلوق وانَّ لهُ سيِّدًا حياتُهُ في يدهِ فكما انهُ اعطاهُ الحياة كذلك لهُ الحكم فيها فيفصم حبلها اين ومتى وكيفما شاء . فاذا تطاول الانسان على نفسهِ بالانتحار استبدَّ بأمر نفسهِ وحرم الله بعض حقوقهِ المقدَّسة

وقد بيَّن تعالى حكمهُ على حياتنا بما طبعهُ في قلب الانسان من الكراهية من الموت فيفضِّل الحياة على كلّ الخيرات ويرى بقيَّة الشرور كالحبس المؤبَّد والاعمال الشاقَّة دون الموت شرًّا

ثمَّ انَّ العقل يرشد الانسان الى الدفاع عن نفسهِ بازاء ظالمٍ يحاول اغتصابها فيجوز لك للمحاماة عن حياتك ان تصونها بالوسائط اللازمة حتَّى اذا اقتضى صونها قَتْلَ من يهجم عليك جورًا لا بأس من ذلك والشرائع البشريَّة نفسها تبيح لك بهِ . وما ذلك الَّا لأنَّ الناموس الطبيعي يبيح دفع القوَّة بالقوَّة ويثبت كون الحياة عطيَّة من الخالق الذي يأمر بحفظها فكم بالحري يحظر على الانسان ان يتلفها بيدهِ

٢ الانتحار بازاء الدين

انَّ الاديان على اختلاف نَزَعاتها تقضي على الانسان بصيانة حياتهِ وتؤثِّمهُ اذا

عمد الى تلفها . فهذه الشريعة الموسويّة المدوّنة في الاسفار المقدّسة تصرّح بذلك فانّ وصيّتهُ تعالى الخامسة « لا تقتل » تعمّ كلّ قتل يحاولهُ الانسان بسلطان نفسهِ سواء كان قتل ذاتهِ او قتل قريبهِ . وقد كان الله في سفر التكوين سبق وبيّن ذلك او لا بتقريعهِ قايين بعد قتلهِ اخاهُ هابيل (تك ٤ : ١٠) ثمّ بتكرارهِ لنوح بعد الطوفان حيث قال (٩ : ٦٥) : « اي انسان قتل اخاهُ اطلبُ نفس الانسان . ان يك سافكُ دم الانسان الانسانَ فدمهُ يُسفك لأنهُ بصورة الله صُنع الانسان » فمن هذا يستفاد انّ اثم سافك الدم هو واحد سواء سفك دم نفسهِ او دم قريبهِ لأنّ كليهما صُنع على صورة الله . وهو القائل عزّ وجلّ (تثنية ٣٢ : ٣٩) : « انا أُميت وانا احيي » . وقال ايضاً (حكمة ١٦ : ١٣) : « انّ لك سلطان الحياة والموت . . . اما الانسان فيقتل بخبثهِ لكنهُ لا يعيد الروح الذي قد خرج ولا يسترجع النفس المتبوضة » فكلّ هذه الآيات الكريمة لا تدع ريباً في تحظيرهِ تعالى الانتحار على الانسان كقتلهِ لقريبهِ

وقد جرت الكنيسة على وجب هذه التعاليم فانّها بمجامعها ورسائل احبارها وكتابات علمائها لم تزل تستقبح الانتحار وتعدّهُ من اعظم الجنايات . وتحرم المنتحرين من الدفن الديني ولا تسمح بان يُقبَروا في ارض مقدّسة ما لم يعيشوا مدّةً بعد محاولتهم قتل نفسهم فيتوبوا او ثبت بعد الفحص ان نوعاً من الجنون شوّش عقلهم ففعلوا دون معرفة تامّة او ارادة ثابتة . اما اذا عاش طالب الانتحار بعد سعيهم بهِ عمداً فان الكنيسة لا تسمح لهم بالانتظام في سلك الاكليروس

وليست النصرانيّة وحدها قد رذلت الانتحار بل غيرها من الاديان ايضاً كالاسلام واليهوديّة والاديان الوثنيّة نفسها . فاما الاسلام فانّ لصاحب شريعتهِ حديثاً رواهُ البخاري وغيرهُ من رواة الحديث وهو قولهُ : « كلّ من يقتل نفسهُ يعذّب في نار جهنّم » وقولهُ : « من يقتل نفسهُ يُنفَ من الجنّة الى الابد » وروى ابو داود انّ نبيّ الاسلام نهى عن دفن قاتل نفسهِ بالصلاة عليهِ (١ . اما اليهود فرأيتَ ما ترويهِ التوراة في اسفارها الالهيّة . كذلك الامم الوثنيّة كاليونان والرومان وبعض الشعوب البرابرة كانوا يستقبحون الانتحار يدلُّ على رأيهم كبار فلاسفتهم كفيثاغورس وسقراط وشيشرون فانّهم يعدّون الانتحار كجناية في حق عناية الآلهة ويحملون في الجحيم

(١ الطلب Hughes : Dictionary of Islam, *art.* Suicide

مكاناً خاصًّا للتنكيل بهم . أما الذين سمحوا به منهم فكانوا من الملاحدة الذين ينكرون الخالق وعنايتهُ ويقولون بمذهب الماديين

٣ الانتحار بازاء الهيئة الاجتماعية

خُلق الانسان ليعيش مع بني جنسهِ في المجتمع البشريّ فهو عضوٌ من اعضاء ذلك الجسد الادبيّ المنتشر على وجه الارض وقد جعل الله لكل فردٍ من افراد هذا المجموع وظيفةً يقوم بها فيخدم ذاك المجموع كما هم يخدمونهُ . فاذا اخلَّ الفرد بوظيفتهِ من تلقاء نفسهِ اساء الى الجماعة اذ حرمها احد اعضائها العاملين لخيرها وكفر بجميلها بعد ما نالهُ من فضلها وهي قامت في خدمتهِ بالمربى والمعاش والسكن والدفاع عنهُ الخ

وقد جاء في سفر أيوب (٧ : ١) انَّ حياة الانسان جهاد على الارض وكلّ انسان احدُ المجاهدين في ساحتها فكما يُقضى على الفراريّ بالخيانة لوطنهِ كذلك المنتحر يخون المجتمع البشري بفرارهِ من ساحة الجهاد العامّ وتصرُّفهِ بنفسهِ دون رخصة مليكهِ الذي هو الله وقد ائتمنهُ على حياتهِ ليبذلها في منفعة العموم فاضاع الأمانة

ولا يقولنَّ احد انَّ رجلاً تعيساً بائساً هو عبءٌ ثقيل على الهيئة الاجتماعيَّة فموتهُ افضل من حياتهِ . نجيب على ذلك : كلَّا ليس البائسون والاشقياء وذوو العاهات في هذا العالم شرًّا للهيئة الاجتماعيَّة فانَّهم بصبرهم وبفضائلهم نعم القدوة للمجتمع البشري الذي يتمتع بالفضيلة والآداب الحسنة اكثر مما يتمتع بالصنائع كما انَّ الرهبانيَّات التي يقضي رجالها ونساؤها حياتهم في الصلاة والتقشُّفات يخدمون الجمعيَّة الانسانيَّة افضل الخدم ويشرِّفونها بترقيتها عن الميولات والامور الماديَّة الخسيسة وتوجيه نظرها الى العالم الادبي والروحي الذي يجب ان تسعى اليهِ الهيئة الاجتماعيَّة

ومما يدخل في هذا الباب ان للمنتحر غالباً اهلاً واقرباء كالدَّين واولاد وزوجة وغيرهم يكونون في حاجة الى خدمتهِ . افليس ظلماً فظيعاً ان يحرمهم عملهُ ويعرِّض بهم الى الفاقة والبؤس ان لم نقل الى اليأس والقنوط فضلاً عما يلزمهم من العار والخجل لموت احد اقربائهم الادنين موتاً شنيعاً كهذا

٤ الانتحار بازاء نص المنتحر

ان كان العقل والدين والهيئة الاجتماعيَّة تتفق على تقبيح الانتحار فليس صالح المنتحر باقلّ منافاةً لهذه الجناية وذلك لأنَّ بين المبادئ الفلسفيَّة الراهنة التي تُعَدُّ من الاوَّليات في تآليف الفلاسفة كارسطاطاليس وغيره «انَّ اوَّل محبَّة الانسان هي لنفسه» ليصونها ويرعاها ويطلب لها كلَّ خير ينطبق مع صلاحها . وكلّ يرى انَّ الانتحار على طرف نقيض من هذا المبدأ المقبول . فاي شرّ يا ترى اعظم من ان يتلف الانسان نفسهُ ويفقدها الحياة اكبر خيراتها . وهذا يُفحم ذات الذين ينكرون وجود الله وخلود النفس

وفي المبدأ الانجيلي « أحبب قريبك كنفسك » اثباتٌ لهذا المبدأ الفلسفيّ . كأنَّ الرب يقول : كما انَّ الانسان يريد بالطبع الخير لنفسه ولا يتلفها ولا يضرُّها كذلك يجب ان يعامل قريبهُ بموجب هذا الناموس

والانسان المؤمن بوجود الله وخلود النفس برهان آخر يصدُّهُ عن الانتحار . انَّ الله خلق الانسان لمجدهِ بان يسبّحهُ تعالى ويمجّدهُ ويخدمهُ فينال بعبادته هذه وخلوص خدمته السعادة الابديَّة . فكيف يا ترى يقوم المنتحر بهذه الخدمة افليس هو بالحري كالعبد الشرّير الذي لا يرضى باتمام اوامر سيّده فيقضي عليه سيّدهُ بما استحقَّهُ من العقاب ؟

وبهذا يسقط ايضاً مدَّعى المدافعين عن الانتحار بانَّ بعض شرور هذا العالم لا تُطاق فيستخفُّ الانسان الموت على احتمالها . وهو قول يفوه به الجهَّال لا العقلاء . فما هي يا تُرى شرور الدنيا وبلاياها كلها مهما كانت فظيعة بالنسبة الى سقوط النفس بين يدي الاله الحيّ والدَّيان العادل الذي يعاقب بعذابات ابديَّة يفوق اخفُّها على كل ما يُعرَف في عالمنا من الاوجاع والآلام ولاسيما اذ لا يبقى للمنتحر وقت للتوبة . أفلا يصحُّ في هؤلاء العميان قول العامَّة : « هرب من الدلفة فوقع تحت الميزاب »

أما قول بعض المتفلسفين والكتبة المحدثين الذين جعلوا الانتحار في بعض الظروف شهامةً وفعلاً محموداً كما فعل فتى الارز فليس هو سوى لغط وشقشقة لسان بلا معنى او بالحري هو كلام فاقدي الشعور أثقل يرزحون الحقيقة على البسطاء ويصبحون في طريقهم حجر عثرة فيشككونهم والويل لمن تأتي على يده الشكوك